

فصول

مختارات

١٠٥

أحمد النشار

اللمس
الخفيف

مختارات فصول

سلسلة أدبية شهرية

قصص

١٠٥

أغسطس ١٩٩٥

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. سمير سرحان

رئيس التحرير
سامي خشبة

نائب رئيس التحرير
إبراهيم أصلان

مدير التحرير
حسن سرور

المشرف الفني
صبري عبدالواحد

الغلاف للفنان
عماد حليم

مختارات فصول - مختارات فصول - مختارات فصول

أَحْمَدُ النِّشَارُ

الْمُسَيَّرُ الْخَفِيفُ



إِسْرَافَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ الْمَسْلُوكَةُ لِلْكَتَابِ

١٩٩٥

الضحك

أنا ولد أكتب القصة القصيرة من زمان وأبى يزعل على لاننى لا اتبه لدروسى ولا أدخل الامتحانات وماما تقول ان ولدنا شاطر طول عمره ولكن يلعب فى بعض السنين ويكتب القصص والشعر ولا يدخل الامتحان .. أنا أحب القصة القصيرة وأحب أمى وأبى ولى اخوة أصغر منى وأنا الكبير ، وقد ذهبت الى المقهى الذى يجلس عليه الناس الذين يكتبون القصص القصيرة وينشرونها فى الجرائد والمجلات ، وأنا رأيتهم وسمعتهم يتكلمون بطريقة ناس يكتبون القصة القصيرة فعلا ، وكانوا يختلفون عن الناس الذين لا يكتبون القصة القصيرة فى طريقة الكلام ولكن وجوههم كانت تشبه وجوه الناس الآخرين . جلست على الكرسي وطلبت قهوة ولم أطلب كازوزة لأن الكازوزة يشربها الأولاد الصغار وكان معى الأوراق التى كتبت عليها قصتى ، وقدمت هذه الأوراق الى كاتب قصة

قصيرة كان معي ، وهو الذي قال لي : تعال نروح المقهى يا ولد
لنعرض قصتك على كاتب القصة القصيرة الذين يجلسون
هناك .. وهذا الكاتب أخذ الأوراق ولف بها على الكتاب
الآخرين ، وهم قرأوا وواحد منهم كان أصلع ، وكان يرتدى
القميص الممزق على الرقبة .

وقال عنى : انه ولد يكتب قصة قصيرة عادية ، وان العالم
الذى يطرحه هو عالم غير غريب ، ثم قال عن نفسه انه يكتب
قصصا قصيرة غير عادية ويتناول العالم بكل ما فيه من غرابة .
وكاتب القصة الذى قدم أوراقى قال للكاتب الأصلع انه لم
يبلغ الثامنة عشرة بعد ولكن الكاتب الأصلع قال : ولو ..

ولما قدمنا الأوراق للكاتب الذى يرتدى البدلة الرمادية
والذى يجلس فى وقار على الكرسي ، قرأ الأوراق فى عناية ،
وكان كلما قرأ شوية راح ينظر الى السماء ويقول هؤ ..
وكان كاتب القصة الذى أحب قصصى قد خدع هذا الكاتب
الوقور وقدم له ولدا أشقر وقال : هذا هو الذى كتب هذه
القصة ، وضحكت أنا فى سرى لأن صاحبي الكاتب ضحك
على الكاتب الوقور . والولد الأشقر راح ينظر للكاتب الوقور
فى غباء ، وأنا كنت أريد أن أضحك على هذا الولد الأشقر
لأنه لا يفهم شيئا عن القصة القصيرة ، ولكن يفشر كثيرا ويحكى

عن أحلام غير معقولة • وأخيرا تكلم الكاتب الوقور الذى يقول : تؤ • وقال ان هذه القصة والله غير بظالة ولكن مليئة بلفظ « ثم » وان الذى كتب هذه القصة لا يفهم « ثم » حق الفهم وان « ثم » تختلف عن « و » وراح يقول الفروق • « والولد الأشقر » راح ينظر فى وجه الكاتب الوقور ولا يقول شيئا ، وأخذ الكاتب الذى أحب قصصى يتسم لى وقد قال لى من قبل اننى ولد موهوب ، ويمكن ان آكون فيما بعد أحسن من يوسف ادريس وأنا كنت فرحت لاننى كنت أعرف ان يوسف ادريس هو أحسن كاتب فى العالم ، وانه يستطيع أن يغير الأشياء تغييرا •

انتقلنا الى الترابيزة التى هناك ورأيت كاتب قصة يلبس نظارة ويتكلم عن كاتب ويقول عنه انه أحسن كاتب وأنا استغربت لأن هذا الكاتب الذى تكلم عنه لم يكن يوسف ادريس • وهذا الكاتب قال : من الذى كتب هذه القصة ، رأيتنى اندفع وأقول أنا الذى كتبت القصة ، ونظر ذو النظارة فى عيني وسألنى عن عمرى وأنا قلت له عن عمرى ، وسألنى ان كنت أعمل مثلا أو أذهب الى مدرسة ، وأنا قلت بمنتهى الشجاعة اننى ولد أذهب الى المدرسة وقال هو : اسمع يا ولد القصة القصيرة عمل عجيب وغريب وشاق ومتعب ويكلف

الانسان جهدا كبيرا ويحتاج الى أعصاب فولاذية وحكى عن
انه عندما يشرع فى كتابة القصة يروح يجهد عقله ويبحث عن
الكلمات بمنتهى الصدق والأمانة ويشطب كلمات كثيرة لأنها
لا تعجبه ويكتب بدلا منها الكلمات التى يجدها ملائمة
للموقف . وأنا استمعت له وأنا مستغرب ورأيتـه ينظر الى
قصتى فى قرف فزعلت على قصتى .. ثم راح يقول كلاما كثيرا
عن الكاتب الذى يعتبره أحسن كاتب وقال لى : هذا الكاتب
أستاذى يا ولد .. كان الكاتب الذى أعجبتـه قصصى فقيرا
ونحيفا ولا يحمل فى جيب القميص أكثر من عشرة صاغ ورق
أعطاهـا له الولد الأشقر الذى قدمه على أنه أنا .. نظر الكاتب
الفقير الى وقال لى : قم يا ولد . وخرجنا من المقهى وتركنا
الناس الذين يكتبون القصة القصيرة . لقد مشينا فى الشوارع
وكان لهذا الكاتب مشية سريعة قافزة . وكان أسرع منى فى
المشى ، ويتطلع على الرصيف ، ولا يجرى أمام السيارات
ويتحدى الناس وينظر فى عيونهم ، قال لى : اسمع يا ولد سوف
نذهب الى كاتب قصة قصيرة يكتب بنفس الطريقة التى تكتب
أنت بها وسوف نبحث عنه فى جميع الخمارات فهو يجب
شرب الويسكى وقال ان هذا الكاتب سوف يقرأ قصتى ،
ثم يقفز من على الكرسي ويرقص ويقول : هيه لأنها سوف
تعجبه جدا جدا لقد قفز قفزاته ودخل الخمارات وبحث عن

الكاتب الذى سوف يقول : هيه .. ولكن كان يخرج من
الخمارات ويقول لى : هو ليس موجودا وأنا كنت لا أدخل
الخمارات لاننى ولد متدين وأكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى
نصف السطر ثم أروح أكتب القصة مباشرة قبل أن أكتب لها
العنوان . لقد بحثنا كثيرا والكاتب الفقير أصبح يقفز قفزات
بطيئة لأنه تعب ولم يعد ينظر فى عيون الناس لانهم كانوا قد
ذهبوا الى البيت وناموا وأنا قلت له هل هناك خمارة أخرى
لم تذهب اليها ؟ وقفز هو قفزة بطيئة وقال لقد بحثت فى جميع
الخمارات يا ولد وليس هناك شك الآن فى انه لم يسكر
هذا اليوم . وأنا زعلت وقلت له : يعنى اليوم الذى أكتب فيه
أنا القصة وأنت تقرأها وتقول : برافو يعنى فى هذا اليوم
بالذات يمتنع هو عن الشرب فى الخمارات .

وقد زعل الكاتب الفقير من أجلى وقال : لا تزعل يا ولد سوف
نجده يوما ما ، وبينما يقول ذلك سمعنا الصوت الذى يقول :
أنا جدع وقال الكاتب الفقير اننى أعرف هذا الصوت
جيذا ، وسوف يخبرنا صاحب هذا الصوت عن مكان الكاتب
الذى سوف يقول : هيه .. استدار الكاتب الفقير ورأى
الرجل الذى قال : أنا جدع وذهب اليه وعاقه وتكلم معه ،
والرجل الذى قال أنا جدع قال : أنا مش عارف تمام ولكن قد

تجده على المقهى ، ثم قال أنا جدع وبمدها قال انه كان يسكر معه الليلة في العوامة ، وانهما تركا العوامة سويا وقال هو له وهما يخرجان من العوامة انه قد يذهب الى المقهى . تركه الكاتب الفقير وقال لى هيا لا تضعي الوقت . لم أضيع الوقت وجريت في اثر الكاتب الفقير الذى استعاد قفزاته النشطة من جديد .

ولكن وبينما نحن تقطع الشارع بالعرض ، توقفت سيارة أبى السوداء أمامنا ، وراح أبى يضغط على الزمارة وأنا سمعت زمارتنا وقلت للكاتب الفقير : انه بابا والكاتب الفقير صافح بابا وقال له : ابنك كاتب موهوب ، ويكتب القصة القصيرة بطريقة رائعة ، وسوف يكون له مستقبل عظيم ، وبابا لم يرد على الكاتب الفقير ونظر اليه في خوف ونزل من السيارة ، وشدنى من ملابسى وفتح الباب ورمانى في السيارة السوداء ونظرت أنا الى الكاتب الفقير وحركت الاكرة وحاولت النزول ولكن بابا قال : اوعى تنزل أحسن والله العظيم اضربك .. وأنا خفت من عيون بابا ولكن كنت أحبه ما أزال ولم أنزل من السيارة . ورأيت الكاتب الفقير يمسك أوراقى وينظر الى نمره السيارة ويدونها في المفكرة التى كانت فقيرة مثله ، وتحركت السيارة ونظرت الى الخلف ، ورأيت الكاتب

الفقير يقفز بصعوبة بالغة .. نظرت الى عيون بابا وقلت له في
أدب : لماذا لم ترد على الكاتب الفقير يا بابا .. وبابا ابتسم
في عيوني وقال في استغراب : اسمع يا ولد أنا أريد أن أسألك
عن شيء وأنا قلت لبابا اسأل يا سيدى .. وهو قال : هل
هذا الكاتب سودانى يا ولد وأنا ضحكت وضحكت وبابا قال
وهو يضحك : لقد كان يتكلم بطريقة السودانيين وكان وجهه
أسمر وأنا صحت لبابا الخطأ الذى وقع فيه وقلت له : أبدا
يا بابا انه كاتب مصرى مائة فى المائة ، وهو الوحيد الذى
يكتب القصص ، ولكن لا يتكلم بطريقة الناس الذين يكتبون
القصص : وقال بابا : اسمعى يا ست هانم ابنك يقول : القصص
مرة أخرى ، ويريدنى أن أروح فيها . ثم قال فى غضب اياك
تنطق هذه الكلمة مرة أخرى . وقلت أنا لنفسى ان بابا غضب
لانى أضيع وقتى فى كتابة القصص ولا أذهب الى الامتحانات
وانه قد غضب أكثر عندما قرأ قصصى فعرف اننى أكتب عنه
وعن أصاقائه وعن الناس الذين أراهم فى الشوارع ، وأسخر
منه ومن هؤلاء الناس فى قصصى . أطل وجه ماما من الخلف
وقال بابا مرة أخرى : اسمعى يا ست هانم ابنك يقول
« القصص » وقلت أنا لماما .. غريبة أنا لم أرك عندما دخلت
السيارة . وبابا قال : لقد كانت تنام على المقعد الخلفى لأنها
لا تحب أن ترى الذين يكتبون القصص وكشرت ماما ورأت

تكشيرتها المعتادة وقالت قولها المعتاد وهو : الى متى يا ولد
يا فاقد ستظل تكتب القصص وتسخر من أيبك ومنى ومن
الناس أجمعين • وأخذت أنا أضحك وتذكرت ماما عندما قالت
لى مرة : (وكان اخوتى قد وشوا بى عندها وقالوا انه يكتب
الشعر ويهمل الدراسة) أهمل الدراسة يا ولد من أجل الشعر
والعزف على الربابة ؟ وقلت فى نفسى : هذه أم غريبة وعجيبة ،
تتصور أن الشعراء هم أصحاب ربابة يجلسون على المقاهى
ويشربون الشاى ، ويعزفون •

وقلت : لقد كنت يومها أكتب الشعر ولكننى اليوم أكتب
القصة القصيرة وشعرت بالزهو ••

وأفقت من ذكرياتى على سيارتنا وقد ابتعدت كثيرا لدرجة
اننى عندما نظرت الى الخلف لم أر الكاتب الفقير الذى يحمل
أوراقى أدت عنقى مرة أخرى ونظرت فى المرأة الصغيرة ورأيت
وجه أمى وقلت لبابا :

— ولكن قل لى يا أبى العزيز •• وحرك هو عجلة القيادة
بمهارة وقال :

— ماذا تريد يا ولدى ؟

— قلت :

— أريد أن أعرف كيف عرفت مكانى ووصلت اليه
بالسيارة ..

ويبدو انه كان سؤالا غريبا جدا فقد راح أبى يضحك
ويهتز ، وماما هى الأخرى أطلت بعنقها من الخلف .. فلم أجد
مفرا من الضحك معهما •

اللمس الخفيف

وعلى ذلك فاني أظل واقفا بعيدا وأراها تخطو أولى خطواتها خارج باب المدرسة ويكون التلاميذ قد خرجوا أيضا حاملين الحقائق فوق أكتافهم • وعلى يسارى الكشك الذى اشتريت منه زجاجة من نوع الشويس يرتقال ومن خلفى بيتها الذى لو استدرت فاني لن أستطيع أن أراه لأنه يكون فى هذه اللحظة مختفيا وراء صف قصير من المباني التى تشبه تماما • وأرى الشبان الذين يعملون فى طائفة المعمار وهم يسرون عابرين الشارع • ويقابلهم الرجل الذى أفهم من حديثه الموجه اليهم انه الرئيس ويكون البيت غير المكتمل ظاهرا على بعد أمتار قليلة منى والجير الأبيض متناثرا هنا وهناك • • وصابغا يأدى الشبان باللون الأبيض • وهى هناك قادمة بصحبة السيدة المعلمة التى تصبغ وجنتها باللون الأحمر ولها عيون زرقاء والتلاميذ يسرون خلفهما ولكن لا ينظرون اليهما بل يضحكون

على أشياء لا أعرفها ، ويرتدون ملابس قديمة ووجوههم
خليط من اللون الأسمر والبقع البيضاء التي ليس لها شكل
محدد ومنهم ولد بدين : يظهر من وجهه انه رسب في الثانوية
العامة عدة مرات يقول لى : ولع لى بطريقة منفرة فأعطى له
علبة الكبريت التي تحتوى على عود واحد ، وأكون في تلك
اللحظة مشعلا سيجارتي الأخيرة ويشعل هو سيجارته بطريقة
أحس من خلالها انه يدخل السجائر بكثرة ، ثم يلتقى بعلبة
الكبريت جاعلا اياى أحس بالغيط فأحاول أن أجعله يتوقف
كى أوبخه على ذلك ولكنه يتقدم بسرعة في اتجاه الأولاد الآخرين
ويشد على أيادهم بقوة ، ويتركهم ويدخل العمارة المكونة من
ثلاثة أدوار ويلتفت الى وهو يدخل صانعا بأصابه حركة من
النوع الذي يجب المثلون أن يصنعوها عندما تنتهى المسرحية .
والسيدة ذات العيون الزرقاء ما زالت تتحدث معها وأنا أسير
بطريقة بطيئة حتى يصبح وجهى مخفيا خلف الحافة اليسرى
للشك ، حيث الولد الذي قدم لى زجاجة الشويس - يطفى
الكشك من الداخل بطلاء لونه أزرق . وتتوقف هى على
الرصيف الآخر ، وتشير في اتجاه الشارع الصغير الذي يفصل
طابورين من البيوت وأدرك وأنا أنظر بعين واحدة انها تخبر
السيدة بمكان البيت الذي تعيش فيه ، وتروح السيدة تتسائل
بإشارة من الأصبع الكبير فى يدها اليسرى فأخاف أنا ألا تعرف

من خلال الاشارات مكان البيت بالضبط فيكون ذلك سببا كافيا لكى تكمل المشوار معها ، حتى تصلا سويا الى البيت وتقفا أمامه مباشرة ، فتعرف السيدة معرفة أكيدة ان هذا هو البيت فعلا . ولكنها تبتسم أخيرا وتودع السيدة فأرى ملامحها واضحة أمامى مذكرة اياى بها بعد وقت طويل لم أكن قد رأيتها فيه ، وأحس أننى أحبها حقا وفى احتياج اليها جد شديد ، وتروح ملامح الآخرين ترتسم أمامى قائلة لى أن أبتعد عنها ولكنى أقرر الا أصغى ، وأتقدم خلفها - وكانت قد عبرتنى دون أن ترانى - مقرا أن ألس الباطو الأزرق لمسة خفيفة فوق الكتف لتنتبه هى ثم تدير رأسها للخلف كيما ترانى .

العميان

قد كان للزربية فتحة في الحائط. حيث كانت الشمس تدخل
وجدى جالس تحت الجاموسة ويجعل اللبن يتساقط في الشلية
ثم يناول الأخيرة الى الصغيرة فتدخل بها جزء البيت المبنى
بالطوب . والرجال العميان كانوا جالسين في الحوش يرتلون
القرآن على روح خالتي . دخلت الصغيرة بالشلية ووضعتها
بجانب جدتي وغمرت وجهها الأبخرة التي تصاعدت حين
رفعت جدتي غطاء الحلة ولسعها البخار لسعا خفيفا فتأوهت
وابتعدت حتى التصق ظهرها بالحائط . غطست جدتي معلقتهما
في الشلية وتذوقت ثم أثنت على اللبن وقالت كلاما عن جدى .
كان ترتيل العميان يصل الى جدتي خافتا في البداية ولكن
عندما ارتفع صوت الأعمى الذى يجلس في المنتصف ، شعرت
جدتى بالانزعاج وأمرت الصغيرة أن تذهب اليه وتجعله يكف
عن ذلك . جرت الصغيرة ووقعت على أنها بينما كانت تعبر

العتبة التى تفصل البيت عن الحوش ، ولما وضعت يدها فوق
أقفها وشاهدت الدم ، خافت وقررت الا تخبر الأعمى ،
وأمسكت بصورة خالتى التى سقطت من جيب فستانها • دخلت
الزريبة وهى تبكى وأخبرت جدى بما حدث وأرته الصورة
وقد تلوثت بالدم فشاهد خالتى وهى تبتسم بينما كان الدم قد
التصق بخصلة شعرها وبلل ملابسها المدرسية • قام جدى وفاضت
منه رائحة اللبن وحين أصبح فى الحوش رآته جدتى وقالت :
صباح الخير يا حاج فاتتبه العميان وأداروا رؤوسهم ناحيتها
حيث كانت واقفة وتحمل وعاء كبيرا مملوءا بالطعام قال جدى :
صباح الخير ثم سار الى الأمام واخترق المسافة الكائنة بين
اثنين من العميان وداس حذاؤه الكبير طرف الرداء الذى يرتديه
الأعمى الذى فى المنتصف • جفل العميان وتحركوا فى كل اتجاه
مما جعل المسافات التى بينهم تتسع وخلف جدى العميان
وراءه وراح حذاؤه يدوس فوق الأغصان الجافة ويجعلها
تتكسر ولما أصبح على وشك الخروج من البوابة راح العميان
يعاودون الاقتراب بينما كانت جدتى تنزل الوعاء من فوق
رأسها وتضعه على الأرض •

الحجرة ذات السقف الواطيء

وروعت في البداية الا اننى ابتسمت بعد ذلك لأن حياتى
كانت سلسلة من الاخطاء وكانت هى واقفة هناك وبصحبتها
الشاب الأسمر الذى قالت عنه ذات مرة انه قريبها من بعيد وكان
يرتدى ملابس صيفية ويضحك ويقول لها كلاما كثيرا الا اننى
لم أكن أسمع لاني كنت واقفا ويني وبينهما الكثير من البشر ،
وكان هؤلاء البشر يرقصون ويقولون لبعضهم كلاما أثناء
الرقص ، وراح هو يقبلها وعندما استكانت الى صدره أخيرا
رأيت جسدها من الخلف ورأيت أن فستانها بلا ظهر تقريبا •

وكانت الفتاة الواقفة على يسارى تنظر الى جموع
الراقصين ثم تحول نظرتها الى ولما رأنتى مهتما بالنظر من
خلال الراقصين فعلت مثل ما أفعل تماما ورأيتها وقد ابتعدت
الآن عن صدره وراحت تسوى شعرها الأسود الملموم قالت

الفتاة : هى دى ؟ واشارت اليها بالحاح كى لا تجعلنى أزوغ
كعادتى عندما يتم سؤالى عن أشياء كهذه وقلت أنا : آه ..
وذهبت الى الشرفة التى تطل على الحديقة •

ومر وقت قصير وبعده فوجئت بيدين تغطيان وجهى
وأصبح العالم مظلمًا • وقالت الفتاة : أنا مين ؟ وراحت تضحك
ولما أبعدت يديها رحت أرى الحديقة مرة أخرى وقالت هى :
مش هتعقل بقى ؟ وأخذت عينها تتألقان فى ضوء الشرفة
ونظرت أنا الى يديها ورأيت دموعى وقد بللت أصابعها الرفيعة
وقالت الفتاة : لا تكن مغفلاً • وطلبت منى أن احمد الله لأن
المسألة انتهت عند هذا الحد •

وتركت الفتاة وعبرت الصالة ودخلت الى الحجرة الكبيرة
ورأيت أمها مستلقية فوق السرير وهى ترتدى ملابس السهرة
ودنوت منها وقامت هى قليلا واتكأت بظهرها على الوسادة
البيضاء وصافحتها ثم قبلت يدها فقبلت هى الأخرى فى حركة
سريعة جدا وقالت : يا حبيبى • وكان وجهها مليئًا بالبودرة •
وقدرت بينى وبين نفسى ان عمرها قد أصبح فوق الخمسين
بقليل ورحت أرى صورتها فى المرآة ثم نظرت اليها ورأيت
شعرها الحقيقى ظاهرا تحت الباروكة واستلقت هى من جديد
وألقت بالوسادة فوق السجادة ونظرت الى السقف وتمتمت

بكلام لم أفهمه ثم رجنتى أن أفتح النافذة وفتحت النافذة ورأيت
الكمسارى واقفا على سلم الترام ويلوح للناس بيديه وعندما
هم واحد من هؤلاء الناس بالقفز فى الترام رأيت الذى يقف
بجواره وهو يشده من ملابسه .

وعندما استدرت رأيتها تحرك مروحة ورقية أمام وجهها
وقالت ان الهواء الذى يدخل من النافذة غير كاف على الاطلاق
وفتحت زجاجة صغيرة موضوعة فوق التسيريحة وأخرجت
برشامة ثم بلعتها دون أن تشرب وراءها ماء وجلست أنا فوق
حافة السرير ونظرت الى حذائى الأسود اللامع ورأيته وقد
تلوث ببقعة صغيرة لونها أبيض وقلت لها : شوفى .. وقربت
الحذاء من وجهها وارتدت هى النظارة التى كانت موضوعة
تحت الوسادة التى لونها أزرق وضحكت بعد ذلك وقالت ..
ان الحذاء قد تلوث بقطعة صغيرة من التورقة وراحت تشب
الى الذين يرقصون وقالت : انت ما بترقص ليه ؟ وخلعت
النظارة وأمسكت جيبتها بأصابعها الصغيرة المكتنزة وأخبرتني
أنها ترى الراقصين بدون النظارة أفضل مما لو كانت ترتديها .
ورأيت ثلاثة أرباع ثديها وقد أصبحت ظاهرة من خلال
الفسطان الطويل الذى ترتديه ولاحظت أن هذين النهدين لامعين
للغاية وعزيت ذلك الى النجفة كثيرة المصاييح والتي توجد

قريبة جدا من رأسها ودخلت الفتاة في تلك اللحظة وهي منحنية للأمام فأمرتها بصوت مرتفع أن تقترب مني وبعد ذلك نهضت وطلبت منها أن تقف مثلي .. فرفعت رأسها وكاد شعرها يحتك بسقف الحجرة وراح ذلك يفضبها قليلا وقالت انها لم تكن لترضخ لهذا الأمر لو انه صدر من رجل آخر . وقالت الأم : هي لسه واققة معاه ؟ وقالت الفتاة : أيوه يا تانت .. ونظرت من فوق رأسى وقالت : الدنيا برد ..

ورأيت الأم وهي تتحرك فوق السرير ثم تمد أصبعيها الصغير وتدفع الضلفة للأمام ، ولما صعدت الفتاة فوق السرير أمرتها الأم الا تغلق الضلفة الأخرى وجاء صوت الترام وهو يتحرك فوق القضبان . ونزلت الفتاة من فوق السرير وشدت زجاجة ويسكي من نوع البلاك اند هويت من تحت السرير وقالت : فين الكبايات وأخرجت الأم كوبا من تحت اللحاف وقدمته للفتاة بيدها اليسرى بينما كانت يدها اليمنى تهز المروحة بطريقة سريعة .. وقالت الفتاة : هاتي كباية ثانية والنبى .. وصبت الويسكى في الكوب وقدمته لى .. وبعد ذلك .. صبت الويسكى في الكوب .. الذى أعطته لها الأم وشربت الكأس مرة واحدة دون أن يكون مختلطاً بالثلج أو بالصودا ورشفت أنا رشفة واحدة من كأسى ثم جلست فوق

السجادة بحيث أصبح حذاء الفتاة الأيمن يجاور فردة
حذاءي الملوثة .. ورأيت قارا صغيرا يطل من خلف التسيريحة
فنهضت فوق ركبتى واقتربت من السرير وشممت رائحة اللحف
الذى كان منسدلا على جانبه وقلت : ماما .. ولكنها لم ترد .
وقلت : ماما .. مرة أخرى ونظرت الى شعرها الذى كان
ظاهرا كله الآن اذ أن الباروكة كانت قد سقطت فوق الملاءة .
وراح صوت شخيرها الواطئ يصل الى فقررت أن أتركها
وقلت فى نفسى ان مسألة الفأر ليست من الأهمية بحيث تجعلنى
أوقظها .. وجلست مرة أخرى فوق السجادة وأسندت قفاي
فوق حافة السرير واستلقت الفتاة وجعلت خدها يلامس
السجادة وقالت ان ملمسها ناعم جدا وشربت الكأس الثانى
وقالت : مش عاوز تنساها ؟ ثم أشارت الى كأسى وقالت
اشرب . وترددت أنا قليلا وشربت الكأس مرة واحدة وقلت :
ياه .. اذ ان نارا راحت تحرق زورى وقالت الفتاة : عيب
تعمل كده .. أنت مش صغير « وراحت تهرش قفاها ..
واستمعت أنا الى شخير الأم الذى راح يرتفع الآن وقلت بصوت
منخفض اننى لم أكن أحبها أبدا ولكننى زعلان جدا بعد أن
رأيتها تعاق رجلا آخر .. وقالت الفتاة : يا سيدى .. وأمست
نملة كانت تسير فوق قفاها وأرتها لى ثم ملأت كأسى بكمية
كبيرة من الويسكى وقالت اشرب . وكان صوتها ناعما فى تلك

اللحظة أكثر من أى وقت مضى وقلت أنا : هذا نوع قوى
جدا من انويسكى وجرعت الكأس مرة واحدة ولم أصدر أى
صوت ولا عبر وجهى عن أى ألم .. وقالت الفتاة : برافو ..
وأخذت تضحك بصوت مرتفع • فاستيقظت الأم وقالت :
فيه ايه ؟ ونظرت الى لمدة دقيقة واحدة ثم نامت مرة أخرى ..
عندئذ قالت الفتاة بصوت منخفض للغاية : تعال .. فاقتربت
منها حتى أصبحت بجوارها تماما ، ثم مددت يدي وأمسكت
رأسها وجعلت خدها الأيمن يلاصق خدى الأيسر وشعرت
بالراحة •

الشرائط

أفقت من غيوبة المساء حاملا حقيتي •• كانت الشرفة
الزجاجية تحمل لنا أنوار المآثم الكبير وأبواق السيارات كانت
قد ولدت في آذاننا صوتا مألوفا • قال الرجل : صدق الله
العظيم فارتفعت أصوات الأبواق لأن كل سيارة كانت تريد
أن تسبق الأخرى وفي أحداها وضعت حقيتي متجاورا مع
الرجل البدين ذى الخاتم الفضى وحين أصبحنا فى الشارع
المضى رأيت الخاتم يصبح ذهبيا ويرتسم عليه رجل مصلوب •
نزل المصلوب من فوق خاتمه وحط فى حقيتي فازداد حملها
عندما حملتها أخيرا متوجها الى المكان الذى أشار اليه الرجل
البدين وحين وقت أخيرا متطلعا الى المكان رأيت سيارته
فى اتجاه الشارع المهجور •

وأشارت لى امرأة لابسة سوادا من شرفة معتمة • ارتدبت
النظارة المخصصة لذلك ورأيت سوادها داكنا ولاحت من

خلاله أزرار نحاسية وبينما كنت أضع الحقيبة فوق أفرز
الشرفة كانت تعطى لى ظهرها ورأيت شعرها وقد تشكل أصابع
شقراء منسدلة فوق قفاها •

حكيت لها انهم وضعوه فى النعش فى الصباح وان رجالا
كثيرين غسلوه حتى أصبح جسده لامعا من شدة الغسيل بينما
راحت هى تضع أمامى كل الخطابات التى كتبها فى الليلة
الأخيرة •

كانت كل الخطابات زرقاء وخطها كان يدل على انه سوف
يموت غدا •

قالت ذلك بينما كانت تمزج الماء بالليمون وقطع السكر
من الصناديق المغلقة بالرايات الخشنة •

قلت : صناديق كبيرة تلك ومملوءة بالسكر •• وأمرتها
أن تدهنها غدا بالسواد فبكت وقالت ان ذلك ليس فى استطاعتها
بينما طرقت بوق السيارة وخرج الرجل البدن وألقى الينا
بالخاتم كانت قوته عظيمة وارتطم الخاتم بأرض الغرفة وتقدمنا
ورأيناه أخيرا محطما فوق الأرض الخشبية وفى ذلك الوقت
كانت الحجرات الأخرى قد راحت تتراقص فى الضوء الآتى من
القمر وشعاع من أشعة القمر توجه مباشرة الى حقيبتى التى كانت

مزدانة بالشرائط فككت الشرائط وجعلتها تنام فوق السرير
كانت شرائط طويلة وعرضية وخلقت فيما بينها مربعات ورحت
أضع ذاكرتى وجلست فى الشرفة محاولا أن أتذكر ولكن هيهات
لأن ذاكرتى كلها كانت قد رصت رصا منتظما •

وأخرجت هى الأوراق من حقيبتى وراحت تقرأها كنت
أنا قد فعلت المستحيل كى أنظمها وكانت قد أصبحت أخيرا
مرقمة بطريقة زمنية متتالية وهكذا قرأت هى العشرين ورقة
الأولى ثم نظرت فيما بين المربعات فهالها التناسق الشديد بين
ما تقرأ وبين ما تراه على السرير •

رأت المربعات العلوية مرصوصة بشكل أفقى وقالت :
هذه طفولتك .. أليس كذلك ؟

فأومأت برأسى موافقا اذ أننى كنت احتفظت بورقة
أخيرة تدل على النظام الذى اتبعته فى رص ذكرياتى ثم بكيت
لأنه كان مكتوبا فى الورقة ان أبكى وراحت علامات ترسم
فوق وجهها وهى تشاهد بقية المربعات وحين همت بالنظر الى
المربع الأخير طرقت بوق السيارة فى الأسفل فأخذتنى من يدى
حتى أصبحنا فى الشرفة ثم علقت الشرائط بالمشابك على حبل
الفسيل فراحت الريح تحركها يمينا ويسارا ولما همت بتوجيه
الكلام الى الرجل البدن أسكتها هو بإشارة من يده وقال :

لا تنطقى سيدتى : شرائطه تدل عليه ووجهك خير معبر ثم
أقسم بالعصر الذى نعيشه ليفعلن من أجلنى فوق ما يفعله البشر •

الا انه استدرك قائلا :

— ولكن لتعلم سيدتى — وهى خير العارفين — ان يدى
جد قصيرة ونظرى جد كليل •

الصعود الى خشبة المسرح

ودخلت الى المسرح الذى يديره أبى ورأت الفرقة الموسيقية التى يقودها أخى الكبير : كان واقفا ورأسه الصلواء تلمع فى الضوء الخفيف الآتى من السقف بينما كان أحد العازفين يصلح آله فى بطء • وأخى يوجه اليه الشتائم وقلت فى نفسى يا لها من أمسية رديئة وجلست فوق المقعد المكسور فى آخر الصالة ومر أبى وكانت بجواره أمى — من خلف المقعد الا انهما لم يعيرانى أى اعتبار وقال أبى لأمى :

— اليوم بروفة جينرال •• وعندما التفت رأيتها تنظر فى وجهه وقد فتحت فمها الصغير وقال أبى :

— غدا يبدأ العرض واليوم بروفة جينرال •• وهكذا استدرت بعنقى ورحت أواجه الفرقة الموسيقية وتعمق احساسى

برداءة تلك الأمسية وقال أخى للعازف لا بد لك من أن تغيرها
من زمن طويل وانت تعزف بها .. لا بد ان تغيرها .. وساد
بعد ذلك صمت .. ووجدتني أفتح حقيتي السوداء ذات
البقع وأخرج أوراقى البيضاء المتسخة ووقفت ورحت أشير
الى أبى الذى كان قد وقف الآن على خشبة المسرح ويده اليمنى
تشير الى الجهة اليسرى من الخشبة حيث كان مقدرًا لأول
مثل يظهر على المسرح أن يدخل من خلالها . وانطفأ النور
لحظتها ، ولم أعد أرى أبى الا أننى كنت مدركا انه لا بد واقف
فى نفس المكان ويشير نفس الاشارة وجلست على مقعدى من
جديد ورحت أتحنس أوراقى ، بينما كان عزف الآلة القديمة
قد بدأ يرتفع فى نشاز ، وصاح أخى أحذكم يعزف نشازا وأنا
أعرفه رغم الظلام وقال مكررا عليك بتغيرها . وسمعت صوت
العازف وهو يقول فى انهزام : حاضر .. بينما راحت قطرات
المطر تحدث ديبيا خفيفا فوق سقف المسرح . وأضاء المسرح
فجأة ورأيت أختى تخطو أولى خطواتها داخل الصالة من
الباب المفضى الى الخارج وأخذت تضحك ورفعت الورقة
الكبيرة ووقفت تحت المصباح ورأيت الورقة وقد امتلأت كلها
بالصلبان .. قالت أختى كومبليت .. وزاد ضحكها بينما راحت
أمنى تعدو بين صفوف المقاعد كى تصل اليها .. كان أبى
الآن قد وقف فى أعلى المسرح ، فى تلك البقعة التى لا يمكن

الوصول اليها الا بمشقة وراحت أختي تشير اليه بالورقة
وتكرر نفس الكلمة .. وعندما وصلت أُمى اليها أخذتا تتجادبان
الورقة ، الا أن أُمى لم تكن تضحك والتفت أختي الكبير لأول
مرة ورأيت لحيته السوداء المتماسكة وصاح : حذار أن تمزقا
الورقة .. ثم استدار الى الفرقة من جديد وأشار الى العازف
وقال له :

جاهز ؟ .. تلعنم العازف قليلا وقال أيوه .. ثم ثنى
ساقيه وأراحهما تحت الكرسي .. قال أختي : بمقدورك ان
تعزف الآن .. أليس كذلك ؟ .. نظر العازف الى أختي نظرة
حزينة وقال : تحت أمرك يا مايسترو .. وبعد قليل بدأ العزف
الخفيف ذو الأصوات المنخفضة وأطفأ أحدهم المصباح ولم
أعد أرى أختي وأُمى الا بصعوبة وبدأت أسمع صوت حذاء
أبى وهو يدوس الأرض وعندما توقف الصوت أدركت انه قد
أصبح خلفى ، وبدأت رائحة عرقه تصل الى أنفى وحين لمس
كففى وقفت بصعوبة وسقطت منى الأوراق المتسخة ابتسم أبى
وقال : جاهز ؟ وفكرت فى اننى لست مستعدا على الاطلاق .
سأخذلهم لا محالة .. فى أننى لم أعد أستطيع أن أواصل ..
الا اننى انحنيت ورفعت الأوراق من فوق الأرض وقد زادت
اتساخا ، وقلت : نعم يا أبى جاهز فعلا .

وتقدمت من ناحية اليمين ، ومررت من جوار أمي وأختي
وسمعتهما تتهاوسان ، وجاورت أخي الكبير لمدة قصيرة جدا ،
ورأيت صلته النظيفة ولما صعدت الى خشبة المسرح أخيرا
أحدث ذلك صوتا خفيفا جعل العازف يتنبه الى فرأيت وجهه
الصغير وقد بلله العرق •

محاولة للتذكر أمام مدخل المدينة

وقالت هي : أوه .. أنت ما زلت حيا ؟ وكان وجهها ملطخا
بالأصباغ .. لم تكن قد التقينا منذ سنوات ، الا أن كلا منا
لم يكف لحظة عن تذكر الآخر . لقد كانت واقفة بمدخل
المدينة ، وكان عن يمينها بعض اصص الزهور ، وعن يسارها
المقابر قالت : جئت لأقرأ الفاتحة ولكن ما يحزننى أننى أفضل
دائما فى التعرف على قبرها . وتقدمت خطوة وقالت الآخرون
مثلى أيضا ، يقف كل منهم أمام أى قبر اعتباطا ويقرأ الفاتحة
وبعد أن تغادر المكان يأتينا الاحساس بأن كلا منا قد قرأ الفاتحة
على ميت الآخر وراحت تبكى ، وتساقطت دموعها على ياقته
البلوزة السوداء . لم يكن هناك أحد سوانا ، وأخذت الريح
تصنع وجهينا بقسوة ، قلت لم أرك منذ سنوات أليس كذلك .
محاولا أن أدير حديثا ، فنظرت فى عيوني بنفس الطريقة التى
دأبت عليها قديما ودفعة واحدة غمرتني الأحاسيس التى كانت

تأتينى منتظمة عندما كانت تنظر الى تلك النظرة فى الزمان القديم . قلت : « ياه انت كما انت لم يتغير فيك شئ اللهم الا تلك الأصباغ » ، ابتسمت ثم فتحت حقيبتها المصنوعة من القماش ، وأخرجت أدوات مكياجها واحدة فى اثر أخرى ، وراحت تستعملها . كانت الأدوات قد صدئت ، ورحت أنا أتذكر يوم اشتريناها سويا ، والمرة الأولى التى جلست فيها أمام التريجة وراحت تستعملها .

قلت : ولم تكن تلك أبدا طريقتك فى وضع المكياج ، ثم رحت أغلق أزرار الجاكت الأخضر ، محاولا التخفيف عن نفسى ، اذ كانت صفعات الرياح قد ارهقنى قليلا . ابتسمت هى وقالت : ربما تغيرت فيك بعض الأشياء ، الا أن طريقتك فى اغلاق الأزرار لم تتغير بعد . ولما ضحكت قالت : أنا لم أجلس منذ الصباح . ورجعت خطوتين ، ثم جلست على صخرة بيضاء مرتفعة ، وحين فعلت ذلك أخذت الرياح تبعثر شعرها للخلف وأدى ذلك الى انكشاف مساحة وجهها كلها واستطعت رغم الطلاء السميك أن أتبين مساحة الصفار التى غشت بياض الوجه ونضرتة . قلت : تغيرت كثيرا . وليس ذلك بالثىء الذى يفرحنى الآن .. ما الذى حدث هه ؟ .. وأخذت أحاول التخفيف عن نفسى من ثقل المشاعر التى لم تكن تريحنى على

الاطلاق . ولما بدأت أنظر ناحية المقابر من جديد وضعت هي حقيبتها على الصخرة ، ثم عدلت من وضع جونتتها وقالت من المؤكد انك قد رأيتها يوما ما ، كانت صداقتنا قد بدأت أيام كنا نعرف بعضينا ، ولا بد اننا قابلناها سويا في مطعم أو في شارع أو على محطة أتوبيس أو أى شيء من هذا القبيل . كنا على بعد أمتار قليلة من المقابر ، وكانوا قد دهنوها باللون الأصفر المرير ، وكان طائر عجوز قد جاء وحط فوق قبر ثم راح يصدر أصواتا . أما أنا فقد كنت مأخوذا بتلك الطريقة البدائية التى اتبعها البناءون في بناء تلك المقابر . لم يكن هناك شاهد واحد وهكذا أيقنت أن المسألة لم تكن مزاحا ، وان مرتادى هذا المكان القصى من المدينة يفشلون حقا في التعرف على المقبرة التى تخص ذويهم . وتنبهت على صوتها وهى تقول .. هل تذكرها ؟ لقد كانت شقراء بعض الشيء ، وكان لونها قريبا من تلك الزهرة . وأشارت الى اصيص الزهور الأول في ترتيب الأصص التى كانت كثيرة ومرتبّة وتشبه بعضها في اللون والحجم .. قلت لا أعتقد اننى رأيتها ، رغم مرور السنوات الا اننى مازلت أذكر ، لم أنس أبدا كل الأماكن التى ارتدناها سويا ، ولا الوجوه التى توقفنا هنا وهناك كي نبادلها الابتسام أو نتحدث معها ولو قليلا ، أذكر صديقتك النحيفة التى كانت ترتدى أسمالا حين قابلناها على محطة

الأتوبيس ، كانت قد همت بالقفز فى الأتوبيس ، أشرت أنت إليها قائلة ، أفقر صديقتى ، وكانت هى قد رأتنا ولكن الوقت كان قد فات فلوحت لنا والأتوبيس يتحرك .. وأذكر صديقتك المولعة بالجنس وكنا رأيناها بصحبة شاب كما أذكر صديقتك الكبيرة سنا بوجهها الذى كان يجعلنى أتشاءم .. أذكر عددا من الوجوه ، ولكن وجه صديقتك تلك ، لا أعتقد أننى قد رأيته .. كنت وأنا أتحدث أنظر الى أصص الزهور ، ولما انتهيت حديثى التفت ونظرت الى وجهها ، فرأيت نظرتها الحزينة الأليفة ، نظرت الى الأرض وقالت : لابد أنك رأيتهما ، كنت وهى صديقتين أيام كنت تعرفنى .. ومرة أخرى بدأت أحاول .. مررت بكل الأماكن وتذكرت كل الوجوه ، وتمنيت بشدة لو أننى كنت قد قابلتها بالفعل .. ولما بان التأثير على وجهى قالت هى : لقد أزف الوقت .. وقامت من فوق الصخرة وحملت حقيبتها . كان الغروب قد بدأ ، ومن بعيد لاح أول أتوبيس سوف يدخل المدينة فى هذا اليوم محملا بالناس الذين غادروها صباحا ويعودون إليها الآن .. نظرت الى الأتوبيس وقالت : سوف أقف الآن أمام قبر وأقرأ الفاتحة . أشرت الى المقابر واخترت واحدة وقلت : ليتك تقفين أمام تلك المقبرة . تلعثت قليلا وهى تقول : لا أستطيع ذلك فتلك هى المقبرة التى وقفت أمامها فى المرة السابقة .. صافحتها وأنا

انظر باتجاه المدينة وقلت : معذرة الوقت قد أزف فعلا ..
وتركتها ، وخطوت أولى خطواتي باتجاه المدينة ، وسمعتها
تقول : ليتك كنت قد تذكرتها .. ولما استمعت الى ذلك
راودتني رغبة في التوقف والعودة اليها واحتضانها ، الا أنني
عدلت عن ذلك ، وواصلت السير ، ورأيت معالم المدينة .

النافذة المرتفعة

ووضعت هي الكرسي بجانب الحائط ثم صعدت فوقه ونظرت الى أسفل من خلال النافذة وقالت : الرجل لسه واقف .. ثم نزلت من فوق الكرسي وقالت : أنا خيفة .. وكان شعرها متناثرا من أثر العراك الخفيف الذى دار بيننا وذهبت الى المرأة المثبتة على الحائط بينما أخذت أحس بالألم . قالت وهي تنظر فى المرأة : لازم تروح لدكتور .. وراح صوت الرجل يأتى إلينا عبر النافذة . وضعت يدي اليسرى فوق جانب صدرى ورحت اتحرك ببطء فى اتجاه الأريكة وبينما كنت أوسد رأسى خشب الأريكة القاسى أخذت أرى فخذيهما النحيلين بعد أن تحررا ، اذ كانت الريح قد دخلت قوية من خلال النافذة ورفعت فستانها لأعلى وقالت : هي .. أنا شايفاك .. أنت نايم فوق الكنبه .. مش كله .

ومددت ذراعى على استقامته وفارقت ما بين أصابعي
وقالت هي : لسه حاسس بالوجع ؟ ومررت الأصبع السبابة في
يدها اليمنى فوق حاجبها الأسود الكثيف في حين كانت أصابع
قدميها الحافيتين تضغط ببلاط الحجرة في عصبية وأمست أنا
بطرف اللحاف الأبيض السميك وغطيت جسدى وجاءت هي
وقالت شد اللحاف عليك وراحت ترفع اللحاف من فوق
البلاط . وقالت أمت وسخت اللحاف .. وحكت أصبعها ببلاط
الصالة ثم رفعت الأصبع فرأيت أنه وقد تلوث بالتراب ورحت
أزيع اللحاف لليسار وأنا أستمع الى صوت المطرب الآتى من
المذيع في الشقة المجاورة وقالت هي : صوته وحش قوى
وأخذت تضحك فبات اسنانها الصفراء من أثر التدخين .

وراحت تتجشأ لأنها كانت قد أكلت بصارة مع أمها
وأخذت أثناء ما تتجشأ تهersh ما بين فخذيهما وقالت وهي تهersh :
أنا عندى تنيا قلت : مش معقول .. فجلست فوق البلاط
وأخرجت رويته متأكله وعليها بقع كثيرة من حقيبة يدها
الصفراء الممزقة الحواف وقالت شايف ؟ بعد ان قربت الروشته
من وجهى . ورحت أشم رائحة غير مستحبة وكانت بقعة من الدم
قد أصبحت ظاهرة الآن فوق حرف آر المكتوب في أعلى الروشته
ولما سألتها عن تلك البقعة أجابت بانه دم بقعة من البق الكثير ..

الذى يوجد فى شقتهم وقالت انها كانت ممسكة بالروشته ورأت البقة تسير فوق خشب السرير ففحصتها بالروشته • ووضعت الروشته فى الحقيبة وقالت : الحمد لله ثم اخبرتني ان الطبيب قال لها ان مرض التينيا أهون بكثير من المرض القديم الذى لازمها شهورا واستدارت ثم انحنت وقبلتني فشمت رائحة الطعمية التى كنا قد أكلناها سويا منذ قليل وقالت تحب تشوف ؟ وابتسمت أنا وقلت : وماله ؟ ثم نمت فوق جانب جسدى الأيمن وخلعت هى الثوب النظيف فبان انها ترتدى سوتيان ممزقا من الخلف قليلا وجلست على حافة الأريكة ثم فكت مشبك السوتيان • وقربت وجهى من ظهرها ورأيت الآثار وقد انتشرت فى جميع أجزائه ورأيت ندبة كبيرة فى المنطقة التى كان يغطيها مشبك السوتيان وسألتها عن تلك الندبة فأشارت اليها بأظفرها المطلى بالمونوكير الأحمر الرخيص وقالت: دى أكثر حة كنت باحب أهرش فيها وآخر حة طابت • وقامت ثم ارتدت الثوب وقالت : اتأخر شوية •• ثم نامت بجانبى ومدت ذراعها للوراء فشمت الرائحة المنبعثة من ابطها الأيسر ، ودفست أنفى فى اللحاف •• وقالت هى : متأخذنيش ومدت يدها اليمنى وأخرجت من حقيبتها زجاجة كولونيا من نوع الثلاث خمسات وراحت تضع الكولونيا تحت ابطها القريب منى

وتحت ابطها الآخر أيضا وسكنت كمية قليلة فوق الأصبع
السبابة في يدها اليمنى ثم مررت الأصبع خلف أذنى وأخبرتني
وهي تفعل ذلك انها تعرف نساء كثيرات لا يضطررن الى
الاستحمام الكثير لأن عرقهن ليس له رائحة ، وعزت رائحتها
الى حبها الشديد للحلبة .. وقالت وهي تنهض وتضع
الزجاجة بجانب الكنبه : عندك شاي ؟ وقلت أنا : آه .. واشرت
الى المطبخ .. قالت والنبي تقوم تعملنا كييتين .. وكشرت
قليلا وقلت : والله ما أنا قادر .. ونهضت هي وقالت : أمرى
له .. وسارت الى المطبخ وراحت مؤخرتها تهتز ، ولاحظت ان
جانب مؤخرتها الأيسر أكثر انبعاجا من الجانب الأيمن .

ووضعت يدي على المكان الذى كانت ترقد فوقه وشعرت
به دافئا ثم حركت جسدى وأصبحت أنام فوق جانبى الأيسر
فانطلقت الغازات التى كنت أكتمها حتى تلك اللحظة .
وصاحت هي : سمعك .. وأخذت تضحك وتحرك العلب
الموجودة فوق الرف الوحيد المثبت بحائط المطبخ .. ونهضت
ودخلت الى دورة المياه وقرفت ونظرت الى الباب وشاهدت
الكرتونة الممزقة التى كنت قد وضعتها بدلا من الزجاج
المكسور - وقد اتسخت اتساخا شديدا - وقلت فى نفسى :
لا بد من تغييرها .

ومر بعد ذلك وقت طويل ، ولما أصبحت على وشك الانتهاء رأيتها تنظر من خلال الكرتونة وتقول : اخلص بقى •
ففتحت الحنية وأخذت أحرك الخرطوم فى اتجاهات مختلفة
كى أكون قادرا على ازاحة البول ذى الرغاوى من فوق مقدمة
المرحاض ، واغتسلت وفضت متائلا وأظلمت الدنيا لمدة وجيزة
ثم راحت الأشياء تعود للظهور وقد اختلطت بدوائر صغيرة من
الضياء واستمرت الدوائر فى الظهور حتى فتحت الباب ثم
أغلقتة كى أمنع تسرب الرائحة •

وحين أصبحت فى الحجرة رأيت كويين مملوءين بالحلبة
وقد راح البخار يتصاعد من سطحيهما ونظرت هى الى
وابتسمت ثم أخبرتنى انها وجدت فى المطبخ علبة من الصفيح
مملوءة بالحلبة فقالت فى نفسها والنبي لأعمل حلبة •• وصمت
قليلا ثم قالت : أصل كتر الشاى يحرق الدم •• وتناولت كوبا
ورشفت الحلبة بصوت مسموع وقالت : تعال اقعد جنبى ••
فتقدمت وجلست بجانبها فوق البلاط مباشرة وقدمت لى كوب
الحلبة الآخر ، فتناولته بيدي اليسرى بينما رحت أمسح بيدي
اليمنى الحلبة التى سالت على جانب فمها الأيسر • وقالت هى :
ريحة ايدك وحشة كده ليه وارتبكت أنا وقلت : معلىش ••
وتذكرت أننى نسييت أن أنظف يدي بالصابون •

وعاد صوت الرجل مرتفعا أكثر من أى مرة سابقة ودخل
الينا من خلال النافذة وقالت هى : تانى .. وكشرت قليلا بينما
كانت ترشف الرشفة الأخيرة .. ووضعت كوبها فوق الصينية
الخشبية المقروضة الحواف ثم وقفت فوق الكرسي ونظرت
من خلال النافذة وقالت وهى تنظر بتركيز : قالع القميص وناس
كثيرة واقفة حواليه واستلقت أنا فوق البلاط ورحت انظر الى
فخذيها .. وقالت هى ماسك سكينه فى ايده الشمال .. وأشرت
الى النافذة وقلت : اقفليها ، منزعجا من شتائه التى راح يوجهها
الى كل سكان الشارع وترددت هى قليلا ثم أغلقتها وظلت بعد
ذلك واقفة فوق الكرسي وعاودت النظر الى فخذيها .

ولما هبطت أخيرا اصطدمت قدمها اليمنى بالكوب الذى
كنت قد وضعت به بجانب الكرسي فانسكبت الحلبة فوق
البلاط .. غطت وجهها بكلتا يديها وقالت : أنا مش مرتاحة
وراحت ترتعش ونهضت ووقفت أمامها ثم أمسكت بيديها
وأزحمتها وقلت : متخفيش وقالت هى : أبويا كان زيه .. كان
ديما يقلع هدومه ويقف يتخاقق فى الشارع وأخذتها فى صدرى
ودفست أنفى فى عنقها المتسخ وقالت هى : الله يرحمك يابا ..
ثم ابعدت رأسى عن عنقها واعتقدت انها سوف تبكى ورأيتها
وهى تجاهد كى توقف ارتعاش جسدها .. وأخذت أمرار أصبعى

فوق الجزء العلوى من أنفها ولطمتها على خدها الأيمن لطمات خفيفة متعاقبة • ولما ابتسمت أخيرا دسست يدي اليمنى غير النظيفة فى شعرها الخشن الكثيف فتنهدت بعمق وشعرت أنا بالرغبة فيها أكثر من أى وقت مضى •

والتصقت بها التصاقا شديدا ورحنا نقبل بعضنا البعض وشممت رائحة فمها وقد أصبحت مزيجا من رائحة الطعمية ورائحة الحلبة وحين استلقينا أخيرا فوق البلاط اصطدمت رأسها بحقيبة يدها الملقاه بغير عناية • • ومددت يدي اليمنى وأزحت الحقيبة بعنف ناحية اليسار فاصطدمت الحقيبة بزجاجة الكولونيا وجعلتها تقع محدثة صوتا شهقت هى وقالت : قزاجة الكولونيا والتفتت برأسها ناحية الزجاجة وعندما أيقنت ان الزجاجة لم تنكسر عاد الاطمئنان الى وجهها ونظرت الى وابتسمت فعاودنا من جديد ما كنا بصدده قبل وقوع الزجاجة •

يوم مات جدى

مات جدى وأنا فى الخامسة الابتدائية • استدعتنى الناظرة
ثم قالت لى بعد كلام كثير ان جدى قد مات وانهم ينتظروننى فى
المنزل لكى أذهب اليهم وأسافر الى البلدة مرتديا مريلتى وحاملا
شنطة • وتركت حجرة الناظرة وذهبت الى باب المدرسة ولما
هممت بالخروج قال لى البواب ان هذا ممنوع فقلت ان جدى
قد مات ونحن سنسافر الى البلدة ففتح الباب وقال لى : هل
تعرف الطريق الى منزلك فقلت له نعم وسرت فى الشارع العريض
وتركت شارعنا عن يمينى وآخر عن يسارى ثم انحرفت يمينا
ودخلت شارعنا ورأيت أمى واقفة فى الشرفة تصرخ والبواب
يقول لا حول ولا قوة الا بالله وكان الأولاد الصغار يلعبون
الكرة أمام منزلنا فالقيت بالشنطة على الرصيف ولعبت معهم
وأحرزت عدة أهداف •

وجاءت سيارة كبيرة لونها أسود ونزلت أمى الى الشارع

وكذلك فعل أبى وركبنا السيارة أنا وأبى وأمى واخوتى - وقال أبى للسائق عن اسم بلدتنا وقال السائق انه يعرفها وسوف يوصلنا اليها وسارت السيارة فى طريق عريضة ثم فى طرق غيرمرصوفة ، وقال أبى للسائق هل تدخن فقال السائق : نعم فأعطاه أبى سيجارة وأشعل لنفسه سيجارة وصرخت أمى مرة أخرى ونحن بالسيارة وقال السائق لأبى هل كان صغيرا فقال أبى انه بلغ الستين منذ أيام وانه أصيب بمرض الكبد وأدخله ابنه (أى خالى) الى المستشفى العسكرى لأن خالى كان ضابطا بالجيش فقال السائق ان مرض الكبد ملعون وتكلم عن خاله الذى كان طويلا جدا ولكن مرض الكبد أعجزه عن الحركة وجعل بطنه تنتفخ وحدد له الأطباء سبعة أيام لكى يموت ومات هو فى اليوم الخامس •

وعندما دخلنا البلدة وجدنا اناسا كثيرين عن يميننا وعن يسارنا ولم أكن أعرف أى أحد من هؤلاء الناس وصرخت أمى وجاوبتها بعض النسوة بالصراخ وكان أخى الصغير نائما ولكنه استيقظ على الصراخ وقال : ماما .. ماما .. فأخذته أمى وأخرجت ثديها فراح الولد الصغير يشرب اللبن •

ووقفت بنا السيارة أخيرا أمام بيت جدى ورأيت جدتى تشير إلينا وتقدمت احدى الفلاحات وقبلت أمى وبكت مما جعل أمى

تنزل الولد الصغير من على كتفها وخفت أنا على أخى الصغير فأمسكت يده وراح يمشى معى بصعوبة • وقال أبى للسائق عن الثمن الذى يريده وقال السائق ستة جنيهات فقال أبى انه جاء فى الشهر الماضى الى البلدة ودفع خمسة جنيهات فقط فقال السائق انه سوف يأخذ خمسة جنيهات ونصف فأعطاه أبى النقود وقال له متشكرين قوى ثم قال له ان الظروف لا تسمح له ان يجعله يدخل المنزل ويشرب شايا أو قهوة فقال السائق : أنا أعرف ذلك •• ثم التفت الى أمى وقال لها : البقية فى حياتك ودخل السيارة وأدار الموتور مرة أخرى وذهب بالسيارة بعيدا •

وقالت أمى للفلاحة التى قبلتها كلاما كثيرا عن جدى وبكت الفلاحة مرة أخرى وقبلت أمى وقالت ان جدتى تريدها فذهبت أمى الى جدتى التى كانت جالسة بين صفين طويلين من المقاعد وطلبت جدتى من أمى الا تصرخ مرة أخرى لأن الصراخ سوف يجعل جدى يحزن •

وجاء خالى وكان واضحا أنه قد بكى كثيرا لأن عينيه كانتا محمرتين وقال لأبى اتنا قد تأخرنا كثيرا فقال أبى ان الظروف هى التى جعلتنا تتأخر لانه بحث عن سيارة كبيرة لكى تتسع له ولأمى وللأولاد •• وتركت أنا أبى وخالى وذهبت بأخى الصغير الى حيث جلست أمى بجانب جدتى وقلت لأمى انه

لا يريد أن يكف عن البكاء فأخذته أمي وأرقدته فوق ساقها اليمنى ثم قالت لى هل التربة مملوءة بالماء فقلت لها انتى لا أعرف فقالت لى : خذ بالك من نفسك ثم راحت تبكى عندما قالت احدى الفلاحات كلاما عن جدى الذى مات وهو ما يزال صغيرا وذهبت أنا الى خارج المنزل وبحثت عن الأولاد الذين كانوا يلعبون معى الكرة عندما أحضر الى البلدة فى الصيف بعد ان تنتهى الدراسة فلم أجد الا واحدا فقط وكان يرتدى طاقية من الصوف وجلبابا لونه أبيض وقال لى هذا الولد ان أباه مريض وينام فى البيت وان أمه تصنع لأبيه مزيج العسل والماء وات أباه يشرب هذا المزيج بتلفذ ، فقلت له انتى أريد أن ألعب الكرة فقال انه لا يستطيع ان يلعب معى لانه مريض مثل آيه وان الطبيب قال ان المرض الذى أصيب به والده يمكن أن يصيب الأولاد الصغار أيضا وانه نام على نفس السرير الذى ينام عليه أبوه . . وفى الصباح وجد انه ساخن جدا وقال لأمه على ذلك فأخذته أمه الى الطبيب الذى قال ان المرض انتقل من الأب الى الابن وقلت له كيف خرجت من المنزل وأنت مريض فقال انه انتهز فرصة ان أمه قد ذهبت بالعجين الى احدى الجارات لكنى تصنع منه الخبز وخرج . وسأله عن الأولاد الآخرين فقال انهم ذهبوا الى المدرسة منذ الصباح وانهم لعبوا

بالأمس مباراة كرة القدم مع بلدة أخرى ولكن البلدة الأخرى
هى التى هزمتنا لأن أولادها الذين يلعبون كانوا كبارا جدا .
تضايقت أنا من الولد وقلت له اذهب الى البيت ونم فوق
السريـر لأن أمك سوف تبحث عنك وحين تراك قد تركت
المنزل وخرجت فانها سوف تغتـاظ منك وتضربك .. فقال لى
انه واثق ان أمه لن تضربه لأنها لا تضرب الأولاد المرضى وانه
يعرف ذلك لأنها كانت لا تضرب أخاه مطلقا عندما مرض بالرغم
من انه كان يأتى بأفعال تجعلها تشتمه وتشتم اليوم الذى ولدته
فيه ، ثم قال لى انه رأى خالتى تبكى وتصرخ وتضع التراب
فوق رأسها وان خالى شتمها لأنها فعلت ذلك وأمسكها من
يدها وأدخلها المنزل فتركته ودخلت المنزل فوجدت خالتى راقدة
فوق سريـر مرتفع جدا عن الأرض وحاولت ان أكلمها ولكنها
لم ترد على لأنها كانت تقول كلاما مشابها للكلام الذى قالتـه
الفلاحة عن جدى .. وجدت ابن خالتى الصغير يقف بصعوبة
ويلعب فى أصابع خالتى وان خالتى لا تنهره من أجل ذلك
فرحت أنا ألعب فى أصابعها الأخرى فتنبتـه هى الى ذلك وقالت
لى هل أنت أمك ؟ فقلت لها نعم ثم رحت أوصل اللعب فى أصابع
قدميها ورحت ألاحظ ان أصابع خالتى طرية وأنها قد طلت
أظافرها باللون الأحمر فتذكرت البنت التى كانت تعيش فى

شارعنا والتي ضربها أبوها لأنها ذهبت مع المكوجى الى حدائق
الحيوان والأورمان وجاءت احدى الفلاحات وكلمت خالتي
قليلا ثم نظرت الى ونهرتنى وقالت لا تلعب فى أصابع خالتك
يا ولد .. فتركت أصابع خالتي وجريت الى خارج البيت حيث
وجدت الطريق غير المرصوف وتقدمت ونظرت الى التربة
فوجدتها ملانة حتى حافظها بالماء وتذكرت كلام أمى عن
العفارىت وخفت وابتعدت عن التربة بمقدار أربع خطوات ، وفى
تلك اللحظة اصطدم بى حمار يركبه رجل قصير وقال الرجل
القصير . ابعد يا وله فرجعت الى الخلف خطوتين ومر الحمار
الذى كان لونه أبيض وفى تلك اللحظة رأيت خالى الصغير يأتى
من البر الثانى وهو يرتدى بدلة لونها أسود وأشرت له وقد
عرفنى وأشار لى بيده ثم مشى فى الطريق وذهب الى الكوبرى
الذى يفصل البرين عن بعضهما وسار فوق الكوبرى ووصل
الى البر الذى أقف فيه وسلم على أحد الفلاحين ولكنى لم
أسمع الكلام الذى قالاه لبعضهما البعض لأننى قد كنت بعيدا
جدا عن خالى . وجريت أنا بسرعة كبيرة ودخلت الدار ، وقلت
لأمى ان خالى قد اتى وانه يرتدى بدلة سوداء فتجهت أمى
وقالت لجذتى كلاما بصوت منخفض .. وبعد ذلك قامت ودخلت
حيث توجد خالتي ووصل خالى الصغير فى هذه اللحظة الى
البيت ورآه خالى الكبير وكان يتحدث مع أحد الفلاحين -

فترك الفلاح ومشى بخطوات مسرعة حتى وصل الى المكان
الذى يقف فيه خالى الصغير وقال له :

— ما الذى اتى بك الى هنا ؟

قال خالى الصغير :

— البقية فى حياتك •

قال خالى مكررا :

— ما الذى اتى بك الى هنا ؟

— نظر خالى الصغير الى الأرض وأمسك بيد خالى الكبير
وأخذ ييكى •• جذب خالى الكبير يده بسرعة ودخل الى
الدار •• وقف خالى الصغير وحيدا واستمر ييكى بصوت
مرتفع ولكنه لم يقل أى كلام عن جدى ونزلت الدموع من
عينيه الى خديه ثم الى شاربه فأخرج منديلا من جيب الجاكتة
السوداء وراح يجفف الدموع •

وجاءت خالتي وصرخت فى وجه خالى الصغير وقالت له
بصوت مرتفع يا قاتل فزاد بكأؤه وأسند يده على حائط الدار
ولطمت خالتي وجلست على الأرض ووضعت التراب فوق رأسها
وقالت مرة أخرى يا قاتل ثم راحت تصرخ بصوت مرتفع جدا

مما جعل جدتى تقوم بين الصفوف وتذهب الى خالتي ثم تأمرها
الا تصرخ واقترب خالى الصغير من جدتى وأخنى رأسه وقبل
يدها فسحبت يدها بسرعة ودخلت البيت مرة أخرى وقامت
خالتي من فوق الأرض ووقفت ولاحظت انها لا تلبس حذاء
وكان التراب قد دخل بين أصابعها وجعل الطلاء الأحمر الذى
فوق أظافرها يصبح لونه داكنا .

ووقفت أنا بجانب خالى الصغير وتذكرت انه لم يعد يأتى
الى القاهرة ليزورنا وهممت ان أسأله عن السبب الذى لا يجعله
يأتى لزيارتنا ولكننى عدلت عن ذلك عندما رأيت حمارا أبيض
يقف بجانبى وينزل من فوقه رجل لون وجهه أسمر سار هذا
الرجل بخطوات بطيئة جدا حتى وصل الى خالى الذى كان
ما يزال يستند على حائط الدار وقال الرجل لخالى انه مريض
جدا والطبيب قال له الا يتحرك من فوق السرير ولكنه لم
يستطع أن يبقى فى منزله لأنه كان يحب جدى جدا كبيرا وقال
لخالى : البقية فى حياتك وقال خالى : حياتك الباقية .. وسأله
الرجل عن خالى الكبير .. فقال خالى انه دخل الدار منذ قليل
وبعد ذلك حمل خالى الصغير مقعدا لم يكن يجلس عليه أحد
وقدمه للرجل فجلس الرجل على المقعد وهو يقول آه بصوت
ضعيف قال لابنه الذى كان يقف بجانبه اذهب الى الدار وخذ

معك الحمار ثم تعال افت والحمار بعد نصف ساعة .. أمسك الولد بالحمار وراح يحدثه بأصوات غريبة مما جعل الحمار يسير وهو يهز رأسه يمينا ويسارا .. وقلت أنا للولد كيف سمحت أمك لأبيك أن يترك المنزل وهو مريض .. فقال لي ان أباه قال لأمه أن الرجل الذي مات كان رجلا عزيزا عليه وانه لا يستطيع أن يجلس في الدار بينما معظم رجال البلدة قد ذهبوا الى المآتم فقالت له أمه اذهب ولا تبقى هناك أكثر من نصف ساعة .

وتركت الولد واستدرت ونظرت الى الأمام فوجدت خالي الكبير يقول للرجل المريض والله ما أنت قايم اذ أن الرجل المريض كان يحاول أن يقف وهو يصافح خالي وأمسك الرجل بيد خالي الكبير ثم أشار الى خالي الصغير وقال له تعال ولما جاء خالي الصغير ووقف بجانب خالي الكبير قال الرجل المريض ان الله غفور رحيم ثم طلب من خالي الكبير أن يصافح خالي الصغير الا أن خالي الكبير نظر الى الرجل غاضبا وخلص نفسه من يده ودخل البيت مرة أخرى .

وجريت أنا الى الداخل وذهبت الى أمي ورأيتها ما تزال تجلس بجانب جدتي وقالت أمي لجدتي انها ذهبت الى جدى

في المستشفى قبل أن يموت يومين وان جدى قال لها كلاما كثيرا عن خالى الصغير وان كلام جدى هذا جعلها تبكى •

وفي تلك اللحظة سمعت رجلا طويلا جدا يقول : وحدوه بطريقة ممطوطة جدا ثم يتجه الى النعش الذى يرقد فيه جدى •• وبعد ذلك قام الرجال الذين كانوا يجلسون على الكراسى وحمل أربعة منهم النعش الذى كانت تغطيه قطعة قماش •• وصاح خالى الكبير : الاعلام الاعلام •• فتقدم النعش ستة أشخاص : ثلاثة منهم يحملون رايات حمراء والثلاثة الآخرون يحملون رايات بيضاء وكان مكتوبا على الرايات البيضاء لا اله الا الله بخط لونه أخضر •

وأعطى خالى الكبير وجهه للنعش وراح يشير بيديه الاثنتين لحاملى الرايات كي يصطفوا أمام النعش وعندما تأكد من ذلك أشار للرجال الذين يحملون النعش فتقدموا بخطوات بطيئة ومنظمة •••

العساكر

واتتصف الليل وقال حفى لحورية :

— ياللا يينا •

وكانت أعمدة النور تضىء الشوارع أما حورية فكانت ترتدى بلوزة مفتوحة رغم البرد ولكنها لم تكن تهاب أحدا لأنها كانت بصحبة حفى الذى كانوا يسمونه فى الحقة بحفى العفل ، وقالت حورية :

— أنا بحبك قوى يا حفى •

وراحت تحتك به أثناء السير وشعر حفى بالزهو— وسار وهو يدق الشارع بحذاءه محدثا صوتا واضحا فى هذا الليل الشتوى وقالت حورية ضاحكة :

— أنت لابس جزمة بحديد يا حفى ؟

فقال حفى :

— دى جزمة أبويا الله يرحمه •

وتذكرته حورية وكانت قد مرت شهور منذ وفاته وقالت :

— كان يبجبنى قوى •

وقال حبنى :

— كان نفسه يعيش ويشوفنا متجوزين •

وانظفأ نور أحد الأعمدة وقلت الرؤية قليلا وبرزت قطعة
من حارة جانبية نظرت القطعة تجاهها قليلا دخلت الحارة مرة
أخرى ، وقال حبنى :

— الله يرحمك يابه •

وراح يدق الشارع بقوة واستمعت حورية الى صوت
الحذاء وزاد اعتزازها بحبنى ، كانت فى الخامسة والعشرين
وتهوى الأغاني وترتدى جوقة قصيرة تكشف عن ركبتيها
وصاحت وهى تلف حول نفسها :

— احنا فى ديسمبر يا حبنى •

وراحت تحمد الله ان أوجدها فى هذا العالم الملىء
بالمسرات •

ودندنت بأغنية من أغاني الشباب ورغم ان حبنى كان
يعشق القديم فانه لم يعترض وقالت حورية :

— أنا بحب الليل فعلا •

ثم راحت تجرى في الشارع فقال حفى :

— على مهلك شوية •

صاحت حورية بصوت مرتفع بحب ليل القاهرة يا ناس ..
وراحت تغنى وتحس انها راغبة فى حفى أكثر من أى وقت
مضى وشعر حفى برغبتها ولكنه ضبط انفعالاته ، اقتربت من
دكة بواب مثبتة بالأرض ونامت عليها وقالت :

— تعالى يا حفى ..

تلقت حوله وقال :

— مش معقول يا حورية •

عند ذلك ظهر واحد من عساكر الليل المتجولين ماسكا
فى يده بنطلونا ، كان حديث العهد بالشرطة ونحيفا وارتاب فى
الأمر وضيق عينه اليمنى علامة أنه يفهم مثل هذه الأمور جيدا
اقترب منهما وقال لحفى بصوت حاول أن يضخمه :

— بطاقتك لو سمحت •

كان العسكرى قصيرا ونظر اليه حفى من عل وقال :

— خليك فى حالك •

أخذ العسكري الأمر مأخذ الجد وراح ينظر لعضلات
حفنى النافرة من كم القميص وقال :

— أنا مش قصدى .. أصلها معنى •

وراح يشير الى دكة البواب .. فقال حفنى وهو يأخذ
حورية ويهم بالسير :

— مالکش دعوة بالحاجات دى •

تحول العسكري الى ولد صغير قلق ومعذب وقال :

— اصلى بدور على زميلى •

وبدا حفنى السير وقال العسكري :

— مشفتهوش والنبي ؟

قال حفنى :

— لا ..

وسارا قليلا ولكن العسكري ما لبث ان لحق بهما ثم وقف
أمامهما وقال :

— أصلنا تهنا عن بعض •

ثم رفع يده المسكة بالبنطلون الصوفى الأسود وقال :

- والنبي لو شفته تقول له ان البنطلون معاي •
- ترك حفى يد حورية وقال :
- هى الحكاية ايه بالضبط •
- قال المسكرى خجلا :
- أصله كان بيعمل زى الناس وجه واد وسرق البنطلون •
- أحست حورية بالقرف وقالت :
- سيبك منه يا حفى وياللا بينا •
- قال حفى :
- استنى بس يا حورية •
- ثم نظر الى المسكرى وقال :
- يعنى زميلك ماشى دلوقت من غير بنطلون ؟
- نظر المسكرى للأرض وقال :
- أيوه •
- ضرب حفى كفا بكف ثم قال :
- بقى دى عمال عساكر بالذمة ؟
- ونحى المسكرى جانبا وقال :

— لو شفته هبعتهولك •

وسار مع حورية من جديد وراهما العسكري وقد ابتعدا
قليلا فصاح :

— قل له الضابط لسه مفتش عشان يتم •

سارا يدا في يد وكف العسكري عن الكلام ووقف في
منتصف الشارع • استمرا بالسير حتى وصلا الى آخر الشارع •

كانت حورية صامته لأنها كانت تحس ببعض الخجل وحفنى
من ناحيته صمت هو الآخر ولم يشأ أن يفتح الموضوع وعندما
انحرفا في الطريق المتقاطع وحاذيا صندوق قمامة رآه حفنى
هناك واقفا يرتعد قال حفنى :

— الواد الثانى هناك أهه ••

وصلا اليه وكان قد توارى خلف عربة خضار وقال حفنى :

— زميلك مستنيك ومعاها البنطلون •

قال من خلف العربة فين ؟

قال حفنى :

— هناك وأشار الى الشارع خرج العسكري من خلف
العربة فبات جاكته السوداء بزرارها العلوى الخارج من

عروته وأسفلها كان اللباس الأبيض المصفر واضحا وطويلا ويصل الى ركبتيه نظرت حورية بعيدا وقال العسكري :

— والضابط ؟

قال حفى :

— لسه مفتش •

صاح العسكري صيحة فرح ثم جرى • أمسكه حفى ثم نظر فى وجهه بعد ذلك وأطلقه جرى العسكري فتابعه حفى حتى دخل الشارع ، نظرا لبعضهما مبتسمين وواصل السير ومر بعض الوقت لاحظت حورية ان حفى قد أصبح حزينا على نحو ما توقفت ثم نظرت اليه وقالت :

— مالك ؟

أمسك يدها ثم ضغط عليها وقال :

— العسكري اللى كان قالم بنطلونه •

— ماله •

— فيه شبه من أبويا •

ابتسمت بحنان ثم ربت على ذراعه وقالت :

— تعيش وتفكر •

وما لبثا أن عاودا السير وكان كل منهما يحاول أن يستعيد حالته التى كان عليها قبل ان يقابلا العسكري •

الأصدقاء

- وضرب شفيق غطسا ثم ظهر من جديد وقال وهبه :
- وقالك ايه الدكتور ؟
- وضع شفيق يديه في وسطه ثم نظر باتجاه الشاطئ وقال :
- الحباله زى ما هي ..
- وكان البحر مزدحما بالمستحمين .. وقال وهبه :
- المسألة طولت قوى ..
- وانحنى وغرف رملا من القاع راح يدلك به صدره ثم
- قال :
- وناوى تعمل ايه ..
- فقال شفيق :
- هاستمر فى العلاج طبعا ..

فقال وهبه :

– وتفتكر العلاج هينفع ..

فنام شفيق بظهره فوق سطح الماء وقال وهو يكشر :

– والله ما أنا عارف يا وهبه ..

وقف وهبه ساكنا لبعض الوقت يتبول في المايوه مباشرة
بعدها أحس بالراحة وقال :

– ولا يهيك يا بطل ..

نظر شفيق الى السماء وقال :

– يعنى ياربى متلاقيش الا أنا ..

بعدها فكر قليلا ثم غطس في الماء ، وخرج بعد ذلك
وقد ارتدى المايوه في رأسه نظر وهبه اليه مندهشا وقال
شفيق متألما :

– تعبان يا وهبه تعبان ..

واقترب بعض المستحمين فقال وهبه :

معلش يا جماعة أصله متضايق شويه ..

فقال أحدهم وهو يتقدم من شفيق :

— متحترم نفسك احنا معانا ستات ..

أوقفه وهبه وقال بقسوة :

— لو قربت منه هكسرلك عضك ..

وفرق المستحمون بينهما • اقترب من شفيق ثم ربت على كتفه وقال :

— وحد الله والبس مايوهك ..

نظر شفيق الى وهبه لبعض الوقت ثم حول عينيه ونظر للماء ، خلع بعد ذلك المايوه من رأسه ثم أخذ يرتديه وقال وهبه :

— بقى دى عمايل يا شفيق ..

فقال شفيق متحررا :

— والله مبقيت عارف أنا بعمل ايه •

قال وهبه يشجعه :

— كل حاجة هتتحل ان شاء الله فرد بيأس :

— مش باين •

لحظتها جاءت موجة عالية تفادها وهبه ولكنها اطاحت

بشفيق رفع يده مستغيثا ودخل الماء الى آتفه .. أسرع وهبه
اليه وأمسكه ثم رفعه قائلا :

— ايه اللي جراك يا شفيق •

وقف وجسمه يقطر ماء ورأسه قوله من أثر اصطدامها
بالموجة •

ابتسم وهبه وقال :

— جرى ايه يا شفيق مش عارف تحط دماغك فى الموجة
وتتفادها دانت بقيت لخرة قوى ..

دمعت عيناه وقال :

— معتش نافع فى حاجة ..

أمسكه وهبه وقال :

— وبعدين معاك .. حضنه شفيق ثم أجهش بالبكاء ..
ابعدده وهبه عن صدره وقال وهو يضحك :

— ياد كل واحد بياخذ نصيبه ..

مسح شفيق دموعه وقال وهو ينظر للأسفل :

— فعلا ..

ضربه وهبه على صلته وقال :

— طب فرفش بقى ..

نظر شفيق الى السماء وتأمل قليلا ثم قال :

— تصرف ..

فقال وهبه :

— ايه ..

فقال شفيق :

— هي سنة كمان وبعدها هتصرف ..

فكر وهبه بعمق ولكنه لم يرد .. واستدار شفيق الى الشاطئ وقال :

— أنا خارج ..

فدعك وهبه أسنانه بالماء المالح ثم قال :

— خدنى معاك .. وراحا بعد ذلك يخرجان من البحر ويتقدمان الى الشاطئ ..

الشمسية

صر السرير وجدى نائم ، اذ قام الأبجى حاملا مظلته •
كان خالى واقفا فى الصلاة يصفر داعيا الأبجى الى الخروج ،
خرج ممسكا المظلة ولم تكن مفردة قال لخالى :

— اتأخرت ليه ؟

رد خالى :

— هس ••

وسارا فى ظلام الصلاة بعد أن خلعا الأحذية من أقدامهما ،
ولما أصبحا على وشك الخروج اصطدمت المظلة بأصبع
خالى ••

قال خالى :

— ايه ده ••

أفهمه الأبجي انها شمسية وسارا بجوار التربة الكبيرة ،
وأمسك خالي بيد الأبجي لانه كان يعرف ان نظره ضعيف ولما
أمطرت السماء فرد الأبجي مظلته ورأى انها كبيرة • وجعل
خالي والأبجي يقربان رأسيهما من بعضهما • وسأل الأبجي
عن المكان الذى تقع فيه القهوة بالضبط ، فأخبره خالي انها
قرية جدا •

قال الأبجي :

— أعتقد انه رآنى وأنا انهض ، فطمأنه خالي قائلا انه
يشك فى ذلك لانه يعرف ان نوم جدى ثقيل • وفى الطريق رأيا
معزة تائهة وواقفة بجوار التربة وراح البرق ينطلق ويجعل
المعزة منيرة •

قال الأبجي :

— معيز قريتنا مختلفة تماما ، وشدد قبضته على المظلة ،
وحين أصبحا فوق الكوبرى الخشبي كادت المظلة ان تنحرف
لليسار ولكن الأبجي لم يمكنها من ذلك •• واشتد البرق
ورفع خالي رأسه ورأى المظلة من الداخل ، ولما زل الأبجي
فى الحفرة الصغيرة التى امتلأت بالماء استطاع خالي أن يرى
النقوش بوضوح ، وقد سارت المعزة خلفهما منذ الدقيقة التى
رأتهما فيها وعندما زل الأبجي راحت تتشمم ذيل جلبابه قال

الأبجي أحس بشيء ورائي • أخرج خالي رأسه من تحت المظلة
وشاهد المعزة تسير ببطء •• أدخل رأسه بسرعة واصطدم خده
بخد الأبجي سأله الأبجي :

— ايه ؟

قال :

— دى المعزة •

وانحرفا يمينا وسارا فى الطريق الضيق ، وعندما أصبحا
بجوار بيت العمدة توقف خالى فجأة فتوقف الأبجي هو
الآخر •• كانت المظلة مقوسة بشدة وتخفى رأسيهما تماما •
لم يكن يظهر سوى الجلبابين الرماديين ، وراح قماشهما
يختلط ببعضه البعض ، وحذاء الأبجي ذو الأبريم كان قد ابتل
بالماء •

قال خالى :

— شامم ؟

وركز الأبجي قليلا ثم قال :

— نعم أشم رائحة يرتقال وأخرج رأسه قليلا من تحت
المظلة فسقطت قطرة من المطر فوق أذنه جعلته يجفل وراح خالى
يتحسس قماش المظلة من الداخل ولما أدخل الأبجي رأسه

مرة أخرى اصطدمت بيد خالى التى كانت ما زالت تتحسس
قال الأبجى :

— رأيت ثلاث نخلات تهتز بقوة واقتربت أنه من أذن
خالى فشم رائحة مستحبة وأخفى خالى ضيقا لم يخبر به
الأبجى ، اذ كان منزعا من ان البلح يتساقط ولا يحدث
ارتطامه بالأرض أى صوت ، ولقد واصلا السير وأصبحا فى
الطريق الذى يجاور التربة الصغيرة ، عندما قال الأبجى
فجأة :

— أنا تعبت •

أخرج خالى يده من جيب السيالة وقال :

— أح ••

— وتسلم المظلة وراحت أصابعه ترتعش فوق المقبض ،
بينما كانت الريح تدفع المظلة ناحية اليسار سقطت كمية كبيرة
من المطر فوق كتف الأبجى ، رفع رأسه لأعلى وشاهد جزءا من
السما قال لخالى :

— حركها لليمين شوية ودفعها خالى بقوة فحجبت السماء

عن عيون الأبجى •

قال الأبجى :

— خليك على كده •

وبينما كانا يقطعان المائه متر الأخيرة أخذت أسلاك
المظلة تحتك بالطاقيّة البيضاء التي يرتديها الأبجي ، شعر الأبجي
بالضيق قال لخالي :

— ارفع يدك بأقصى ما تستطيع •

ونفذ خالي أمر الأبجي بسرعة .. وأحس الأبجي بالارتياح •
كان يسير الآن وقد تحرر من ثقل الشمسية وأصبحت يده
ساخنتين بما فيه الكفاية ، ومكنه ارتفاع الشمسية من رؤية
أضواء المقهى القريب • وقال في نفسه ان المشكلة الوحيدة
التي تؤرقه هي كيفية الدخول الى الحجرة ، والنوم فوق السرير
الملاصق لسرير جدي دون أن ينتبه الأخير الى ذلك •

الفهرس

الصفحة

٥	الضحك
١٥	اللمس الخفيف
١٩	العميان
٢١	الحجرة ذات السقف الواطء
٢٧	الشرائط
٣١	الصعود الى خشبة المسرح
٣٥	محاولة للتذكر
٤١	النافذة المرتفعة
٤٩	يوم مات جدى
٥٩	المساكر
٦٧	الأصدقاء
٧٣	الشمسية

صدر من هذه السلسلة :

- | | | | |
|----|-----------------------|-------------|-------------------------|
| ١ | فتحى غانم | (قصص) | ● الرجل المناسب |
| ٢ | عبد الرحمن فهمى | (قصص) | ● دموع رجل تافه |
| ٣ | أبو المعاطى أبو النجا | (قصص) | ● الجميع يريحون الجائزة |
| ٤ | بهاء طاهر | (قصص) | ● بالأمس حلمت بك |
| ٥ | شكرى عياد | (قصص) | ● رباغيات |
| ٦ | عبد الغفار مكاوى | (مسرحيات) | ● من قتل الطفل |
| ٧ | جمال الفيثانى | (قصص) | ● منتصف ليل القربة |
| ٨ | محمد المخزنجى | (أقاصيص) | ● رشق السكين |
| ٩ | فاروق خورشيد | (قصص) | ● وعلى الأرض السلام |
| ١٠ | عبد الحكيم قاسم | (رواية) | ● الأشواق والأسى |
| ١١ | جميل عطية ابراهيم | (رواية) | ● والبحر ليس بملآن |
| ١٢ | سحر توفيق | (قصص) | ● ان تنحدر الشمس |
| ١٣ | سعد مكاوى | (رواية) | ● لا تسقنى وحدى |
| ١٤ | شكرى عياد | (قصص) | ● كهف الاخيار |
| ١٥ | ادوار الخراط | (قصص) | ● محطة السكة الحديد |
| ١٦ | محمد ابراهيم أبو سنة | (م شعرية) | ● حصار القلعة |
| ١٧ | يحيى حتى | (قصص) | ● سارق الكحل |

١٨	محفوظ عبد الرحمن	(قصص)	أربعة فصول شتاء
١٩	بهاء طاهر	(قصص)	أنا الملك جئت
٢٠	عبد الرحمن فهمي	(قصص)	تاريخ حياة صنم
٢١	عبد جبير	(قصص)	الوداع : تاج من المشب
٢٢	محمود الورداني	(أقاصيص)	النجوم العالية
٢٣	عبد الرحمن الشرفاوي	(رواية)	قلوب خالية
٢٤	ابراهيم عبد المجيد	(قصص)	الشجرة والعصافير
٢٥	سليمان فياض	(قصص)	عطشان يا صبايا
٢٦	عبد الحكيم قاسم	(رواية)	طرف من من خبر الآخرة
٢٧	جار النبي الطور	(قصص)	طعم القرنفل
٢٨	شليق مقار	(رواية)	البحر الأسود
٢٩	حسني عبد الفضيل	(رواية)	تسلق الجدار الأملس
٣٠	محمد النسي قنديل	(قصص)	احتضار قط عجوز
٣١	عبد الله خيرت	(قصص)	رحلة الليل
٣٢	طالبة ممدوح	(رواية)	حبات النفتالين
٣٣	محمود دياب	(مسرحية)	أرض لا تثبت الزهور
٣٤	عبد الفتاح الجمل	(قصص)	الخوف
٣٥	محفوظ عبد الرحمن	(مسرحيتان)	ما أجملنا
٣٦	يوسف القعيد	(قصص)	لم يعد الضحك ممكنا
٣٧	فاروق خورشيد	(قصص)	جبال الشام
٣٨	أحمد الشيخ	(قصص)	الحنان الصيفي

٣٩	ابراهيم اصلان	(قصص)	● يوسف والوداد
٤٠	يحيى عبد الله	(مسرحية)	● مسالة لبني
٤١	يوسف ابو رية	(قصص)	● عكس الريح
٤٢	محمد جبريل	(قصص)	● هل
٤٣	نعمان عاشور	(مسرحية)	● عفاريت الجبانة
٤٤	عائده خصيله	(قصص)	● الطائر والنهر
٤٥	علاء الديب	(قصص)	● زهر الليمون
٤٦	أمين ديان	(قصص)	● الطواحين
٤٧	سامي فريد	(رواية)	● رائحة البحر
٤٨	عاطف الفمري	(مسرحية)	● حفرة صاحب الدولة
٤٩	خيرى شلبى	(قصص)	● اسباب للكى بالنار
٥٠	بدر الديب	(قصص شمرى)	● السين والظلم
٥١	عبد الحكيم قاسم	(رواية)	● أيام الانسان السبعة
٥٢	محمد زفراف	(قصص)	● الملاك الابيض
٥٣	محمد البساطي	(قصص)	● هذا ما كان
٥٤	جبرا ابراهيم جبرا	(رواية)	● الغرف الاخرى
٥٥	طلعت فهمي	(قصص)	● أغنية حب حزينة
٥٦	ربيع الصبروت	(قصص)	● انكسار الحروف
٥٧	عبد الوهاب الاسواني	(رواية)	● اخبار الدراويش
٥٨	فتحى عبد الفتاح	(قصص)	● التيل والفضب
٥٩	نهاد شريف	(رواية)	● الشيء

٦٠	عبد العزيز مشرى	(رواية)	● الفيوم ومنايا الشجر
٦١	فؤاد التكرلى	(مسرحيات)	● الصخرة والطوف
٦٢	نعم عطية	(قصص)	● نهرسان أبيضان
٦٣	سعيد الكفراوى	(قصص)	● ستر العورة
٦٤	محمد سليمان	(قصص)	● الوجه الآخر للقمر
٦٥	محمد المخزنجى	(قصص)	● سفر
٦٦	سليمان الشطى	(قصص)	● رجال من الرف العالى
٦٧	رمزون عاشور	(قصص)	● رايث النخل
٦٨	ليلى الشمان	(قصص)	● ليلة حب مجنونة
٦٩	بدر الديب	(تجربة فى الدبالكنيك)	● المستعيل والقيمة
٧٠	توفيق الحكيم	(مسرحية)	● النعيم المائم
٧١	محمد عبد السلام الممرى	(قصص)	● شمس بيضاء
٧٢	عبد الحكيم قاسم	(قصص)	● ديوان المحطات
٧٣	احمد زقزل الشيطى	(قصص)	● شتاء داخلى
٧٤	وجيه الشربتلى	(رواية)	● حكاية شادونا
٧٥	فهد المتيق	(قصص)	● اذان صغير
٧٦	محمد البساطى	(قصص)	● منحى النهر
٧٧	ابراهيم فهمى	(قصص)	● المشق اوله القرى
٧٨	ابراهيم عبد الجيد	(قصص)	● اغلاق التوافد
٧٩	هالة البدرى	(قصص)	● أجنة الحمان

٨٠	يوسف أبو ريه	(قصص)	● وش الفجر
٨١	ممدوح عدوان	(مسرحية)	● حكي القرايا وحكي المرايا
٨٢	جمال الفيطناني	(قصص)	● من دفتر العشق والغربة
٨٣	احمد الشيخ	(قصص)	● البحر الرمادي
٨٤	محمد عبد السلام العمري	(قصص)	● بستان الأوبكية
٨٥	خيري شلبي	(رواية)	● لحس القتب
٨٦	جميل عطيه ابراهيم	(قصص)	● احاديث جانبية
٨٧	أبو العلا السلاّموني	(مسرحية)	● رجل في القلعة
٨٨	سعيد الكفراوي	(قصص)	● مجرى الميون
٨٩	ليلى الشربيني	(قصص)	● الكرّز
٩٠	ادوار الخراط	(قصص)	● ساعات الكبرياء
٩١	محمد سلاماوي	(مسرحية)	● مسالومي
٩٢	نبيل عبد الحميد	(قصص)	● غزو الارانب
٩٣	حسام فخر	(قصص)	● أم السمور
٩٤	عبد الفتاح رزق	(قصص)	● العودة من داخل الرأس
٩٥	ابراهيم اصلان	(مسرحية)	● بحيرة المساء
٩٦	محمد سليمان	(قصص)	● قراءة في جريدة الصباح
٩٧	نسيم عطية	(رواية)	● قبله الريح
٩٨	أحمد سويلم	(م. شعرية)	● الفارس
٩٩	فتحى أبو ربيعة	(قصص)	● بقايا النمر
١٠٠	أحمد الحوتى	(مسرحية)	● الزائر
١٠١	فؤاد قنديل	(قصص)	● شدة البلابل والكبرياء

١.٢	محمد محمود عبد الرازق	(قصص)	● كوبرى التاريخ
١.٣	محمود الوردانى	(قصص)	● فى النقل والشمس
١.٤	رقسا البهات	(قصص)	● طقوس بشرية
١.٥	أحمد النشار	(قصص)	● اللبس الخفيف

الإعداد القادمة :

شوفى خميس	(م. شعرية)	● اخناتون
محمود حنفى	(قصص)	● حديث الفد
ادوار الخراط	(رواية)	● أضلاع الصحراء
محمد عبد الرحمن المر	(قصص)	● صنوق الدنيا
سمير عبد الباقي	(رواية)	● هكذا تكلمت الأحجار
مصطفى الأسمر	(قصص)	● فصوص مدينة
عبد النعم الباز	(قصص)	● يقع القلب
فوزية رشيد	(ن. قصصية)	● رجل وامرأة
محمد جبريل	(قصص)	● سوق العيد
يوسف أبو ريه	(قصص)	● ظل النار
ليلى الشرينى	(قصص)	● رياح الجنوب
رافقت البويرى	(مسرحية)	● متعلق من عرقوبه
سيد الوكيل	(قصص)	● للروح غناها
فهد العتيق	(قصص)	● انظار صغيرة جدا
ربيع الصبروت	(قصص)	● قلما البحر
محمد حبيب القاضى	(م. شعرية)	● دولة ايوب
عبد النعم عبد القادر	(رواية)	● حكاية الام تفاع
محمد ابو العلا السلامونى	(مسرحية)	● ديوان البقر
محمد حالف رجب	(قصص)	● ليل طارق الظلمات

الأعداد الممتازة القادمة :

- الملبون فى الأرض (رواية) طه حسن
- فطرة الذى كفر (رواية) مصطفى مشرفة
- خيوط العنكبوت (رواية) ابراهيم عبد القادر المازنى
- ابراهيم الثانى (رواية) ابراهيم عبد القادر المازنى
- نائب عزرائيل (رواية) يوسف السباعى
- فساد الأمكنة (رواية) صبرى موسى
- قصص مختارة (قصص) يوسف اندريس
- أغنية الرياح الأربع (دراما شعرية) على محمود طه

تطلب هذه السلسلة من

- باعة الصحف ● مكتبات الهيئة ● معارض الكتاب بداخل مصر والخارج
- المعرض الدائم للكتاب ● مكتبات الهيئة المتنقلة بالأحياء والأقاليم

رقم الايداع ١٨٩١/١٩٩٥

الترقيم الدولي 5 — 4256 — 01 — I.S.B.N. 977

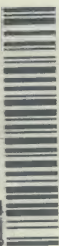
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

تتوالى موجات المياه فى النهر، ودفقات الريح فى الفضاء،
ولا تصل أبداً إلى ذروة عاصفة، ولا تنقطع أبداً عن التتابع قادمة
من منبع غير مرئى، مناسبة إلى مصب لا وجود له، بلا بداية ولا
نهاية - ولا انقطاع - ولا ذروة. تنكسر الرغبة ولا تنكسر الروح؛
وتتصاعد الرغبة ولكن العقل أيضاً - ينتبه إلى ما هو خارجها
وتسيطر الذكريات فى اللحظة ذاتها مع الرغبة. ومع الانتباه لما هو
قائم هنا والآن، وما هو خارج الزمن والمكان. يغوص الجسد فى
البحر ولا يذوب فى مائه الخوف ولا المرح ولا المحبة.

يموت الأب ويحزن الأبناء وتهيمن أيضاً مع الحزن الضغائن
الصغيرة. يقرص البرد ولا يغيب الإحساس بالدفاء القادم أو القديم؛
ويمتزج الضحك والغليظ فى امتزاج الحنان والغباوة والحرمان
معاً..... وقد يكون أحمد النشار هو نفسه «الولد الذى يكتب القصة
القصيرة من زمان ولا يدخل الامتحان، الذى يحكى عنه فى القصة
الأولى من هذه المجموعة؛ قد يكون هو أو لا يكون - فليست هذه
هى المسألة - إنما المسألة هى أن أحمد النشار يمنحنا لحظات
منفصلة متصلة من رؤية لهذا التيار المناسب والمتكامل
مكونات حياتنا: السلوك والتفكير والشعور والتذكر والإحساس
والتواصل والتباعد، منسوجاً باللغة التى تشبه الرؤية
مشدودة محكمة متعددة الوجوه - كموجات المياه أو
دون ذروة عاصفة، لكى يؤكد خصوصية البذرة التى غرست
تيارات أدبنا الحديث، وقدرة تلك البذرة على أن تثبت
لكل عصر - ثماره كاملة وتكهته وطعمه.

2.736
2535

Bibliotheca Alexandrina



0522382